شيماء والبحر

عماد حسن الشافعى
رسوم / رانيا الجزار

مكتبة الإيمان بالمنصورة - بجوار جامعة الأزهر
ت : ٣٥٧٨٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

«شيماء والبحر»

شيماءُ طفلةٌ نشيطةٌ، تُحب القراءةَ، وتُحب البحرَ، وتسكنُ مع أسرتها فى بيتٍ صغيرٍ على شاطئِ البحرِ.

وهى تَهْوَى اللعبَ على الشاطىء مع أخيها الصغير هشام، ومع صديقاتها. وتهوى أيضاً جمع الأصداف الجميلة، والأحجارِ الملونةِ. ولها فى البيت قطةٌ ظريفةٌ تلاعبها وتطعمها، وتصحبها معها فى نزهتها على الشاطىء.

أما هشامُ الصغيرُ فهو يهوى صيدَ السمك، ويعشقُ الجلوسَ على شاطىء البحر يرمى سنارته، وينتظرُ بلهفةٍ خروجها بسمكة.

وذات يومٍ استيقظتْ شيماءُ مُبكراً، ونهضتْ من فِرَاشها ثم ذهبتْ لتُوقظ أخاها هشام..

هشام.. اصحَ يا عزيزى.. إن الصُبحَ قد طَلَع.. وهاهى الشمسُ تُشرق فى الأُفق..

فتح هشام عينيه بصعوبةٍ، ونظر إليها غاضباً، وقال وهو يُغطى وجهه ويعودُ للنوم.

«دعينى أنام.. أرجوكِ يا شيماء دعينى أنامُ قليلاً».



ضحكتْ شيماءُ، ثم رفعتْ الغطاءَ عن وجهه برفقٍ، وهى تقول: لا تكنْ كسولاً يا عزيزى.. إن اليومَ هو الجمعةُ.. ألم نتفق على أن نذهب إلى الشاطىء سوياً؟ هيا.. هيا.

وفتح هشام عينيه مرةً أُخرى، فرأى أُخته الجميلة تقفُ أمامه ضاحكةً، وسمعها تقول له بصوت عذب:

سلام عليكم يا أبا النوم!!.. كيف أنت الآن؟ تُرى هل نمتَ جيداً؟

قال هشام وهو يفركُ عينيه وينظرُ إلى أخته باسماً:

وعليكم السلام يا شَيْموأة ـ هكذا كان يناديها أحياناً ـ الحمدُ لله، فقد نمتُ جيداً، ورأيتُ حُلماً جميلاً.

قالت شيماءُ بلهفة: خيراً.. خيراً ماذا رأيتَ فى النوم؟

قال هشام: رأيتُ أننى أصطادُ سمكاً كثيراً، وامتلأتْ سلتى بالسمك حتى فاضتْ.

ضحكتْ شيماءُ وقالت: الحمد لله.. إذاً هيا بنا.. فقد يُحقق الله حُلمك اليوم.

سأذهبُ لأتوضأ، وعليكَ أن تُرتِّب فِراشَكَ بسرعة.

توضأتْ شيماءُ، وصلَّت الصُبح، ثم رفعتْ يديها إلى السماء وهى تقول: «يا رب حقق حُلم أخى هشام، وارزقنى اليوم أصدافاً جميلة، وبارك لى فى أمى، وبارك لى فى أبى..



يارب العالمين، ويا أرحمَ الراحمين».

كانت الأم فى المطبخ تُعدُّ الفُطور، وذهبتْ شيماءُ إليها لتساعدها.

أما هشام فبعد أن توضأ وصلى الصبح، راح يحضر أدوات الصيد: سنارته، وسلته، وقبعته، ثم ارتدى ثيابه.

جلستْ الأُسرةُ على المائدة تتناولُ طعامَ الفُطور، والأمُ تُحدثهم حديثاً عَذْباً، وشيماءُ تُطعم قطتها، أما الأبُ فقد خرج مبكراً إلى عمله.

خرج الأولادُ بعد الإفطار، والأمُ تقول لهم: لا تتأخروا عن موعد الغداء، ولا تقتربوا من مياه الشاطىء.

شيماءُ تحملُ حقيبتها، وهشامُ يحملُ سِنارته وسَلته، والقطةُ تمشى بجانبهم.

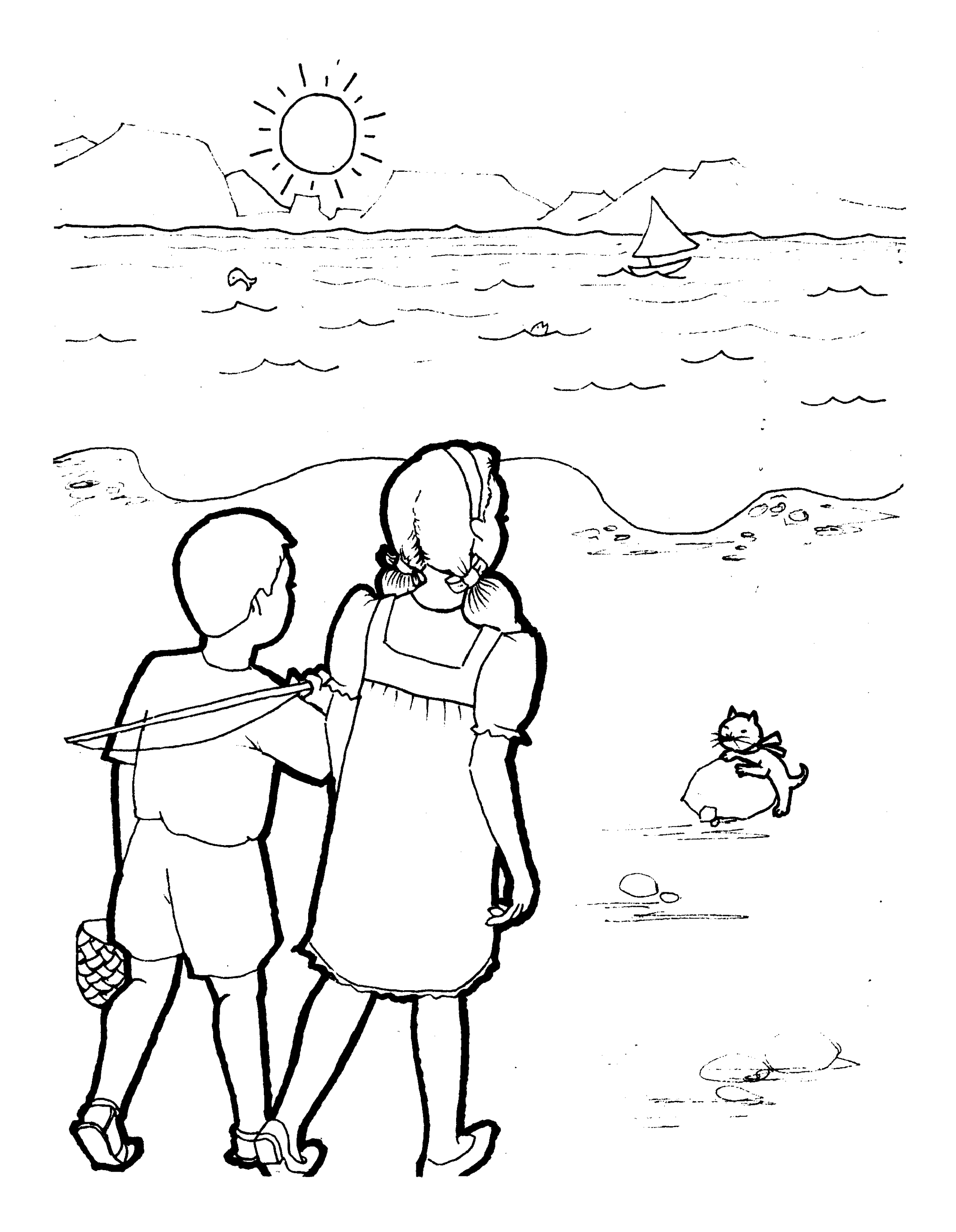
كان الجوُّ صَحْواً، والبحرُ هادئاً، والشمسُ مُشرقةً.

مشتْ شيماءُ وأخوها والقطةُ «لُوسى» نحو المنحدراتِ الصخريةِ القريبةِ من الشاطىء، والتى تبعد عن منزلهم قليلاً، وهى منطقةٌ هادئةٌ ونظيفةٌ وجميلة.

وقبل أن يصلوا إلى هناك صاح هشام على أخته:

شيماء.. انظرى.

قالت شيماءُ: ماذا؟



هشام: انظرى إلى هذه الطيور العجيبة!

صاحتْ شيماءُ: يا إلهى!.. هذا سربٌ كبيرٌ من الطُيور قد حطَّ قُرْبَ الشاطىء.

وقفَ هشامُ وأخته ينظران بفرحةٍ إلى سِرْبِ الطُيور البيضاء الرائعة ويتهامسان: إنها طيورٌ مهاجرةٌ جاءتْ إلينا فى فصل الشتاء، إنها قطعتْ مسافاتٍ كبيرةً حتى وصلتْ إلينا.

وفجأةً طارتْ بعضُ الطُيور وحلَّقتْ فوق الشاطىء، وبعدها طارتْ الطُيور كلها.

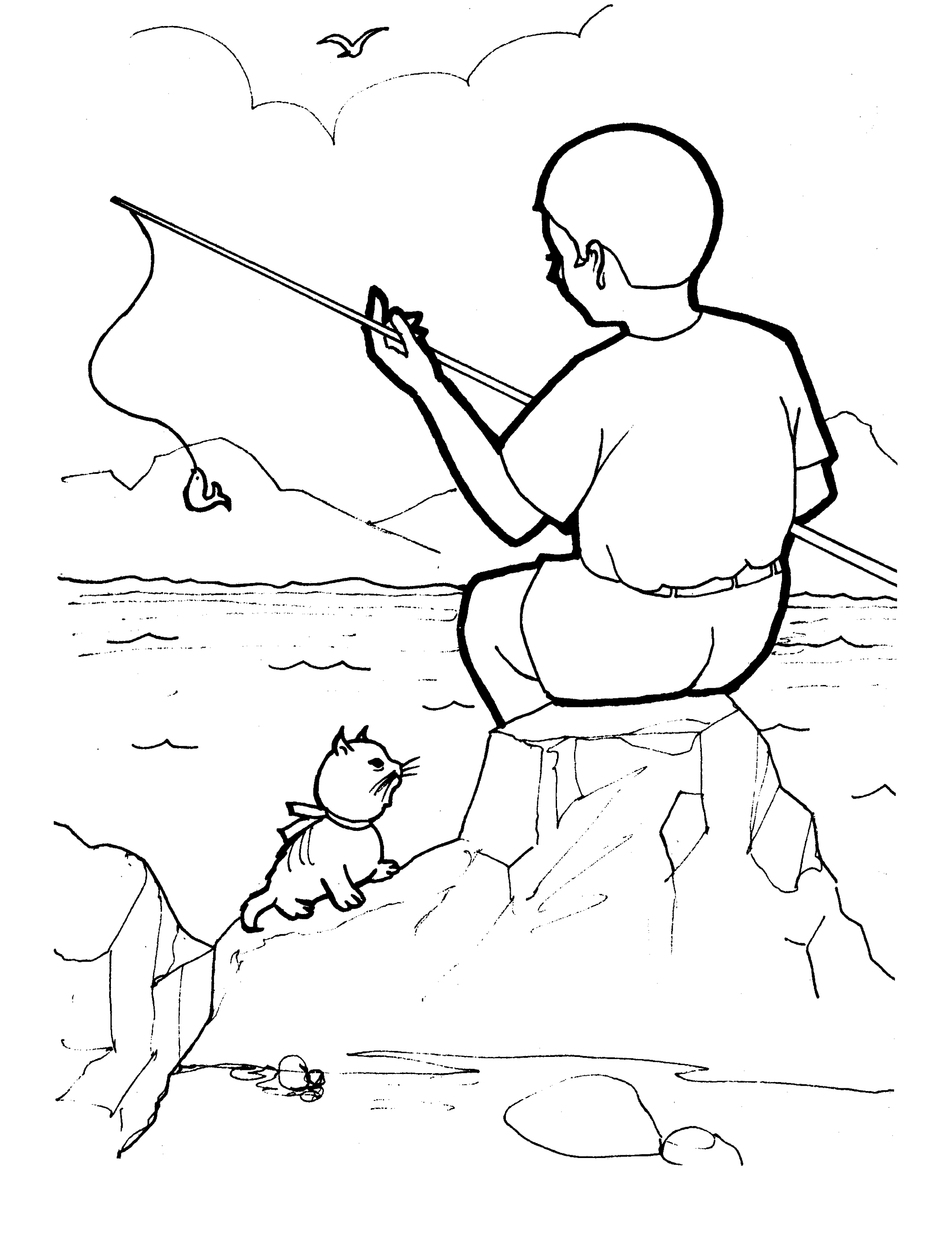
قال هشامُ: كنتُ أودُّ أن تبقى قليلاً.. يبدو أنها أحسَّتْ بنا، وخافتْ منا.

******

جلسَ هشامُ على صخرةٍ، وأخرجَ سنارته، وزوَّدها بالطُعم ثم ألقاها فى الماء. وراح ينتظرُ، والقطةُ لوسى بجانبه كانتْ أيضاً تنتظرُ. إنها تُحب أَكْلَ السمكِ الطازج.

وأخذتْ شيماءُ تحفرُ فى الرمال المبتلة تحت الصخر باحثةً عن الأصداف الملونة التى يُلقيها الموجُ، والتى تزحفُ على الرمال، وتدفنُ نفسها فيها.

وفجأةً رأتْ شيماءُ خطاً غائراً فى الرمال المبتلة، فتتبعته حتى وجدتْ قوقعةً بيضاء مُختبأة.



نادتْ شيماءُ على أخيها: هشام.. إننى وجدتُ قوقعة!

وجاءتْ تجرى إليه وتقول بفرحةٍ انظرْ يا هشام.. انظر!

نظر إليها هشام وقال: الله!.. إنها حقاً جميلة.

وكانتْ القطةُ لُوسى تموءُ وتقفزُ، تشاركهم الفرحة.

وبعد ساعاتٍ من الصيدِ واللعب عادتْ شيماءُ وأخوها والقطةُ إلى المنزلِ وهم فى سُرورٍ. واستقبلتهم الأم بحنانٍ وحُبٍ وهى تسألهم:

أحبائى.. لعلكم قضيتم وقتاً جميلاً ؟

قالت شيماء: نعم.. نعم يا أمى، انظرى ماذا وجدتُ.

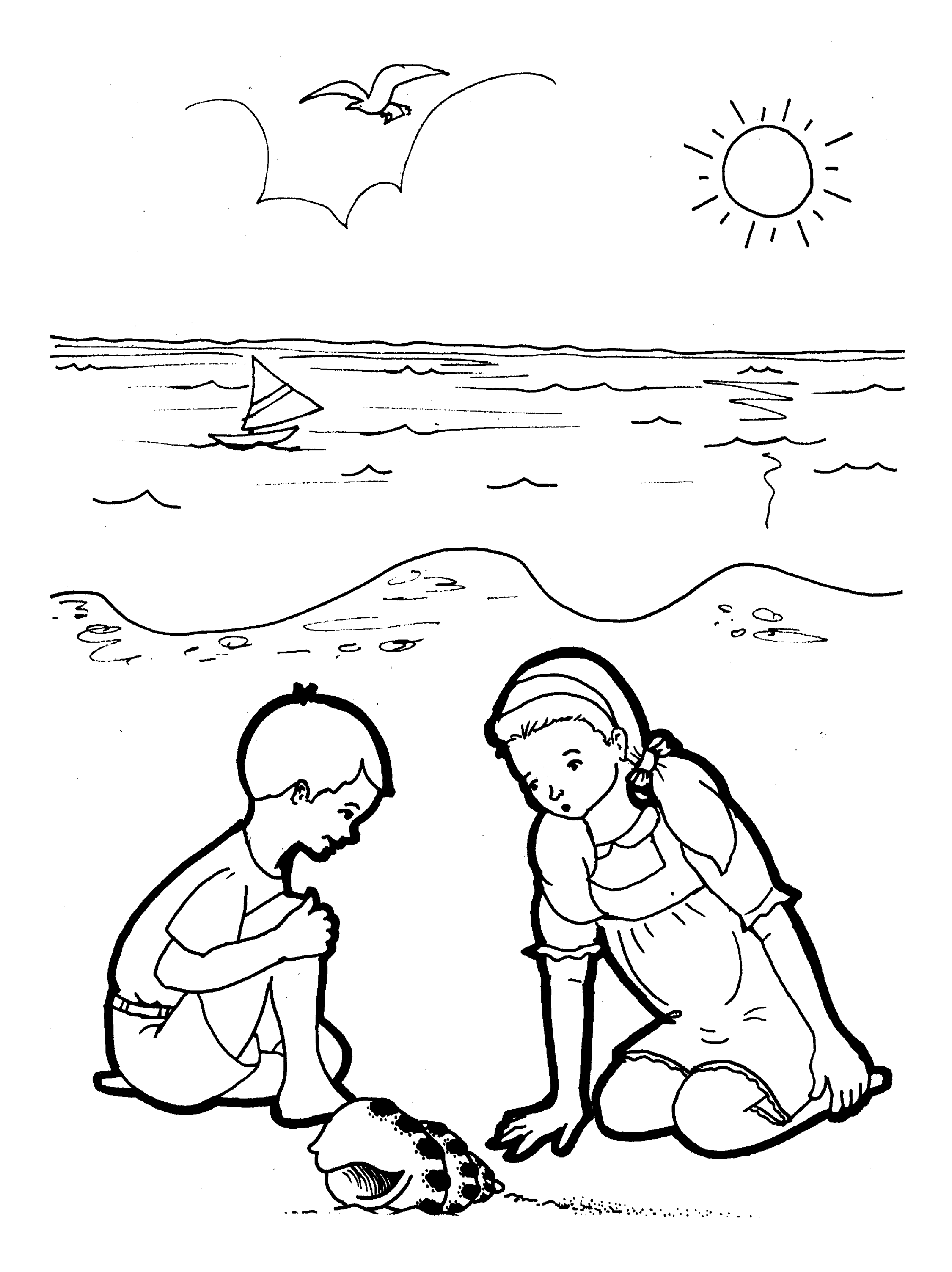
وقال هشام: وانظرى يا أمى إلى السمك الذى اصطدتُه..

أخذتهم الأمُ فى حُضنها وقبَّلتهُم، ثم قالت: هيا يا أولادى غيِّروا ملابسكم، وصلُّوا الظُهر وسأعدُّ أنا المائدةَ..

******

وذات ليلةٍ من ليالى الشتاء، فى أجازة نصف العام، ذهبت شيماءُ إلى حجرتها بعد المذاكرة لتنام، وإذا بالريحِ تهب عاصفةً، وتزمجرُ بغضبٍ، حتى أنها سمعتْ ارتطامَ الموجِ بالصخور.

نهضتْ شيماءُ من فِراشها، ونادتْ على أخيها. هشام.. هل تسمع هذه الأصوات؟



كان الرعدُ مدوِّياً، ووقفتْ شيماءُ وأخوها وراء النافذة الزجاجية ينظران بدهشة إلى البرق وهو يلمعُ فى السماء.

ولم تمرَّ لحظاتٍ حتى كان المطرُ ينهمُر مدْراراً.

شعرتْ شيماءُ بالخوف، فرجعتْ مُسرعةً إلى فراشها وسحبتْ الغطاءَ الثقيلَ وانْدَسَّتْ تحته وهى تشعرُ بدفءٍ لذيذ. بينما وقف هشام ينظر من النافذة إلى السماء وإلى البحر. إنه يحبُ الشتاءَ جداً، ويعشقُ المطر.

كانت شيماءُ تحدِّثُ نفسها من تحتِ الغطاء:

«غدا سوف أخرج إلى المُنحدرات الصخرية القريبة من الشاطىء.. لابد أن تكون هذه العاصفةُ القويةُ قد جرفتْ فى طريقها أجزاء من الرمل والصخر، وربما أعثرُ هناك على أشياء نادرة».

وفى اليوم التالى كان الجوُّ دافئاً، والشمسُ مشرقةً، وخرجتْ شيماء وأخوها من المنزل، وسارا بمحازاة الساحل وقالت شيماء وهى تشير إلى شىء ما.

انظر يا هشام، ما أعجبُ الطبيعة، بالأمس كان هذا الشاطىء نظيفاً، والأمواجُ هادئةً، واليوم تبدل الحال تماماً.. أشلاءٌ منتشرةٌ، وقواربُ صيدٍ مقلوبةٍ وهذا حُطَام سفينةٍ دكتها العاصفة دكاً دكاً. إنها قوةٌ جبارة لا يقدر عليها البشر..



وفجأةً سمعتْ شيماءُ مُواءً متقطّعاً فنظرتْ وراءها، فإذا بالقطة «لوسى» تجرى مُسْرعةً لتلحقَ بهما.

وقفتْ شيماءُ وأخوها وضحكتْ فى دهشة من هذه الرفيقة العزيزة.. إن القطةَ الجميلةَ لم تَعُدْ تصبرُ على فراقهما.. وأصبحت تعشق المشى على الشاطىء مثلهما..

مسحتْ شيماء على رأس القطةِ بحنانٍ، ثم واصلوا المسيرَ.

وصل الرفاقُ الثلاثةُ إلى المنحدرات الصخرية، وكانت قد فقدتْ جُزءاً كبيراً من التُربةِ والصخور، وانهالتْ على هيئةِ أكوامٍ عند السَفْحِ.

أخذتْ شيماءُ تدورُ فى المكانِ، مركّزةً بصرها على الصُخُورِ المتساقطةِ، والحُفرِ الغائرةِ.

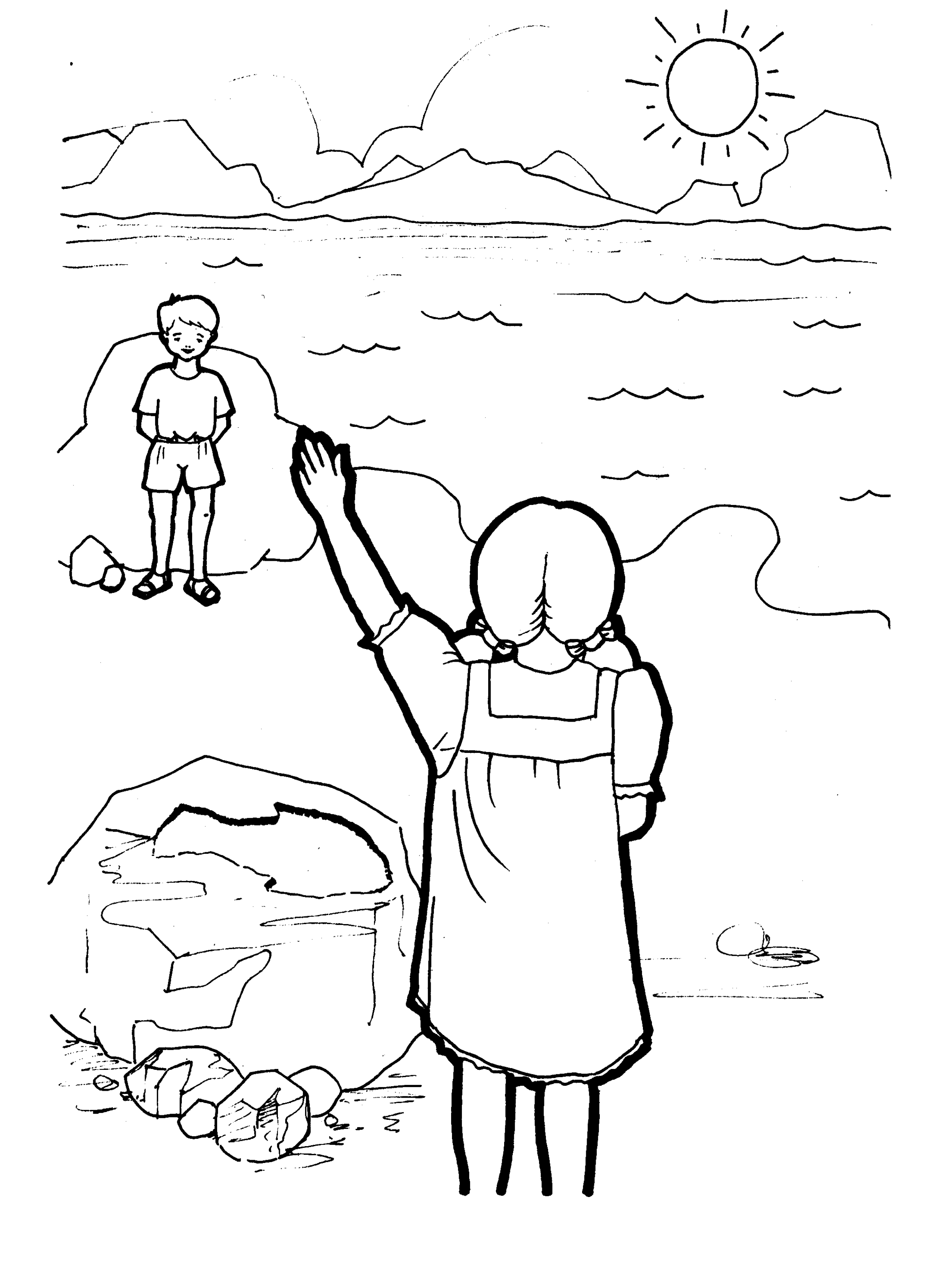
وفجأةً رأتْ شيئاً ملفتاً، فصاحت: هشام.. تعال ياعزيزى بسرعة.. انظرْ.. هذا هيكلُ سمكةٍ مطبوعةٍ على الصخر.

قال هشام وهو يرتكزُ على ركبتيه ويدقّقُ النظرَ: سبحان الله.. ما أعجبها. وما أجملها!

ثم قال: لابد أن نأخذها.. إنها رائعة..

وقالت شيماء: حقاً.. إنها رائعةٌ، ونادرةٌ أيضاً.

وفكرتْ شيماءُ كيف تخرجها، إنها تحتاجُ إلى قَدُومٍ وإزميلٍ(مِنْحَتٌ)، وعنايةٍ شديدة حتى لا تتلف.



قال هشام: إنها صخرةٌ صلبةٌ قاسيةٌ، ونحنُ لا نقدِرُ على تكسيرها.

تجولتْ شيماءُ فى المكانِ فرأتْ واحدةً أُخرى.. ولكن شكلها مُخْتلف..

دققتْ النظرُ فيها هى وأخوها، فأدركتْ أنهُ هَيْكَلُ طائرٍ مطبوعٍ على الصخرِ.

قالت شيماء: يا له من لغزٍ عجيبٍ. ماذا نعملُ الآن يا عزيزى..

قال هشام أرى أن نرجع الآن إلى المنزل، ونُخْبرُ أُمَّنا بهذا الذى رأيناه.

قالت شيماء: أَحْسَنْتَ.. إذاً هيَّا بنا..

رجعَ الأولادُ والقطةُ إلى البيت، وحكوا لأمهم ما رأوهُ فقالت الأمُ وهى تشعُر بفرحةٍ:

إن كان ما تقولان حقاً، فإنكم قد عثرتم على أثر علمىٍّ ثمين.. إن تاريخها يرجع إلى ملايين السنين، وتُسمى «**حفريات**».

«**تمت**»